تقرير

"داعش" من وجهة نظر نفسية

مركز بحوث للدراسات

2015

مركز بحوث للدراسات

Bhooth Centre for Studies

الفهرس

مقدمة..... ٤

"العنف الديني والايدولوجي" من وجهة نظر علم النفس:..... ٤

التنظيمات الدينية المتطرفة ٧

نشأة داعش "تنظيم الدولة في العراق والشام" (الظروف الاجتماعية والنفسية)..... ٨

أولا: المناخ الدولي ودوره في ظهور وتكريس ظاهرة العنف:..... ٩
ثانيا:الظلم والقمع وغياب العدالة الاجتماعية:..... ٩
ثالثا: الفقر:..... ١٠
رابعا:الفوضى:..... ١١
خامسا: الاستقطاب الطائفي:..... ١١
سادسا: الهوية المتفردة وعدم الالتفات للانتماءات المتعددة:..... ١٢

جرائم داعش ودلالاتها النفسية..... ١٣

الخاتمة..... ١٤

التوصيات..... ١٥

المراجع..... ١٦

مقدمة

إن داعش(تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام) تشكل الظاهرة الأكثر غلوا في العصر الحديث لما يسمى بـ"التطرف الإسلامي"، ومن المهم لكي نفهم هذه الظاهرة الخطيرة أن ندرسها من جميع جوانبها الذاتية والغيرية وكل العوامل المتعددة والمتشابكة التي أسهمت في ظهور وانتشار داعش.

وإن من أهم هذه الجوانب إن لم يكن أهمها، هو الجانب النفسي المرضي للتطرف والعنف غير الإنساني الذي يمارسه تنظيم الدولة بشكل ممنهج، لأننا إذا انطلقنا من وجهة نظر غير سوية في فهم ظاهرة مرضية لن نصل إلى نتائج مقنعة أو فهم عميق للظاهرة، كما أننا لن نستطيع وضع حلول أو آليات وقائية للحد من انتشار التطرف والعنف في مجتمعاتنا.

لذا سنحاول في هذا التقرير فهم وجهة نظر علم النفس في السلوك الإجرامي لتنظيم الدولة الإسلامية، وهي محاولة نأمل أن تكون مثمرة لفهم وتفسير تنظيم الدولة كظاهرة نفسية اجتماعية، نشأت وانتشرت في مجتمعات باتت تعج بالفوضى والاستقطاب والعنف بسبب الاستبداد والظلم الذي يمارس عليها منذ عقود. وفي محاولتنا لاستيضاح الأسباب المباشرة وغير المباشرة لنشأة تنظيم الدولة وغيرها في مجتمعاتنا، إنما نحمل المسؤولية لجميع الأطراف التي سمحت لهذه الظاهرة الخطيرة بأن تنمو وتتمدد. وبقدر ما نستشعر الخطر والآثار السلبية لهذه الظاهرة ونؤكد أن أفعالها الإجرامية لا يمكن تبريرها تحت أي غطاء ديني أو ايدولوجي، إنما في الجهة المقابلة لا بد أن نفسرها بشكل علمي ومنطقي، وهو ما نأمل المساهمة في تحقيق جزء منه في هذا التقرير.

"العنف الديني والايدولوجي" من وجهة نظر علم النفس:

يعرف العنف بحسب التقرير العالمي للعنف والصحة(WRVH) أنه:

الاستخدام المتعمد للقوة الفيزيائية، سواء عن طريق التهديد أو الممارسة الفعلية، من الإنسان ضد ذاته، أو ضد شخص آخر، أو ضد مجموعة من الناس أو مجتمع معين،والذي يتسبب أو يحتمل أن يتسبب بإصابة أو موت أو ضرر جسدي، أو إعاقة لتطور، أو حالة من الحرمان للطرف الذي يمارس عليه العنف. [١]

ويمكن أن يكون العنف ضد الغير موجها للأقارب، أو للمجتمع، وفي حال كان موجها للمجتمع، فإنه من المتوقع أن يكون ضد من يعرفهم (الشخص العنيف)، أو ضد الغرباء، ويأخذ العنف أشكالا عدة منها العنف الجسدي والجنسي والنفسي والحرمان أو الإهمال. [٢]

---

[١] /, Definition and typology of violence http://www.who.int/violenceprevention/approach/definition/en

[٢] أنظر المرجع السابق.

ومع وجود عدة أشكال لظهور العنف، تظهر بالضرورة عدة مسميات بحسب الغطاء الذي يتذرع به الشخص العنيف، وبحسب الأسباب التي يبرر بها لنفسه سلوكه التدميري سواء ضد نفسه أو ضد الآخرين. وإن من أشد أنواع العنف تأثيرا على الأفراد والمجتمعات هو"العنف الديني" لأن الشخص الذي يمارس العنف في هذه الحالة يمارسه انطلاقا من عقيدة، ومن إيمان بأنه يفعل ذلك لأهداف سامية، ولغايات تتعلق بالوجود الإنساني، وبأنه يحقق الخلاص لمجتمعه وللإنسانية. ولذلك نجد "العنف الديني" يترك آثارا مدمرة على من يمارسه بشكل أساسي لأنه يتعرض لتشوه في نظرته لنفسه وللآخرين وللإنسانية، و كذلك على المجتمعات التي ينتشر فيها "العنف الديني". وإن من التناقضات في موضوع "العنف الديني" أن الديانات السماوية جميعها كانت تدعو للسلام وللموعظة الحسنة والمسامحة، وما إلى ذلك من قيم وأخلاق نبيلة تعلي من قيمة الإنسان وتجعل حياته وسلامته ضمن أولوياتها.

ومما يجعلنا نؤكد على فكرة في غاية الأهمية، وهي أن "العنف الديني" مصطلح ارتبط ظهوره مع حالات الانحراف والتطرف سواء الفردي أو الجماعي الذي ظهرت بإسم الدين، وأن هذه الحالات كان أفرادها يعانون من حالة من التشوه المفاهيمي والقيمي التي تهيمن على عقولهم، وتسيرهم في العادة قيادات وهم في حالة أقرب إلى الاستلاب وفقدان السيطرة على الذات. إذ يؤكد (كولن ويلسون) على حدوث مثل هذا التشوه في الأفكار بمثال القتل الجماعي لدى (هتلر)الذي كان يمارس العنف بدافع من عقيدة ايدولوجية، ويقول (ويلسون): إن ذلك العنف لم يكن بسبب التمرد، إنما:" كان الدافع نتاج نوع مشوه من الأفكار المثالية دفعته إلى محاولة خلق"عالم أفضل" . وهو الدافع نفسه الذي أدى إلى تدمير هيروشيما وناجازاكي بالقنابل النووية..." [٣].

وقد يجادل البعض بأن هتلر لم يكن يمارس العنف بدافع ديني، إنما بدافع فكري ايدولوجي نابع من ولائه للنازية، وهو أمر مختلف، وأن الايدولوجية تتغير، في حين أن الدين لا يتغير، إلا أن الموضوع هنا نسبي إلى حد بعيد، حيث في كلتا الحالتين تتشابه الدوافع فكل من يؤمن بعقيدة دينية أو ايدولوجية ويمارس العنف بناء عليها يعتقد أنه يخدم قضية عادلة ويحقق للبشر حياة أفضل، ومشروعا أرقى من الواقع الذي يعيشون به. وهناك كثير من الحالات التي أدت فيها العقيدة الايدولوجية إلى حالات من العنف الدموي مثل الحزب الشيوعي في الإتحاد السوفياتي السابق بقيادة ستالين، حيث أن هناك دراسات تشير إلى أن ستالين تسبب بقتل ما يقارب(١٥) مليون شخص أو أكثر من كثير من الجنسيات والأديان والقوميات، وبالذات في المعتقلات التي كان يقيمها في سيبيريا لأعداء الإتحاد السوفياتي أو من يشك في ولائهم. وهناك أيضا (ماوتسي تسونغ) قائد الثورة الصينية والذي قام بتحويلها من امبراطورية إلى دولة شيوعية، حيث قتل في هذا التحول ومابعده أكثر من

---

[٣] كولن ويلسون، التاريخ الإجرامي للجنس البشري.سيكولوجية العنف،(ترجمة د.رفعت السيد علي)، ص١٣.

(٢٠) مليون شخص. وهناك أيضا (الخمير الحمر) بزعامة (بول بوت) في كمبوديا، حيث قامت هذه المجموعة بتبني الشيوعية الماركسية كعقيدة ايدولوجية، وقتلت في سبيل نشر هذه العقيدة أو محاولة للحفاظ على نفسها من أعداء مفترضين، حوالي(٣)ملايين شخص في السبعينيات من القرن الماضي.[٤]

لذا فإننا نرجح أن العنف الديني والعنف الناتج من عقيدة ايدولوجية لهما نفس الدوافع والأهداف، ويخضعان لحالة الاستلاب ذاتها، طبعا مع اختلاف الشدة حسب الحالة.

كما يؤكد (كولن ويلسون) على أن هناك مراتب للقتلة والمجرمين، وأحد هذه المراتب هي (المغتالون) وهم بحسب (ويلسون) الذين يقتلون بدافع التعبير عن الذات، بحيث يشعر القاتل بأنه يقتل ليحقق ذاته، وأنه يصل لمستوى من الإبداع من خلال جرائمه.[٥] وأن هذا الإبداع بحسب تقييم المجرم، له قيمة ويعبر عن قدراته المتميزة!

إن هذا التفسير يتقاطع أيضا بتفسير العنف عن طريق ما أطلق عليه"الرجل الصائب" أي الشخص الذي يعتقد بأنه شخصية أسمى من غيره، ويسمح لنفسه بمعاقبة المجتمع والآخرين لتحقيق ما يعتقد أنه أفضل لهم وله وللجميع![٦]

وهنا تظهر أحد أبعاد العنف الديني بوضوح، فالأشخاص الذين يمارسون العنف والإجرام باسم الدين، دائما يروجون لمشروع فوقي لتخليص المجتمع من الكفر وهدايته –حسبما يعتقدون- إلى الحق. إن ما يتسم به هؤلاء اعتقادهم أنهم يحتكرون الحق، ومن هنا يتكرس التطرف لديهم لأنهم يتصرفون بناء على اعتقاد جازم أن كل ما يفعلونه إنما يفعلونه طلبا لمرضاة الله وفي مصلحة البشرية، وأنهم يمتلكون الطريق الأوحد للخلاص، ومستعدون للموت في سبيل القيام بالمهمة التي يكرسون حياتهم لها. إن المتطرفين دينيا يعانون من عقلية محدودة وانغلاق فكري، لذلك من الصعب إن لم يكن مستحيلا التواصل معهم، فلكي ينجح التواصل لابد من توفر ثلاثة عناصر: (المرسل،و المستقبل، والرسالة)، وفي حالة المتطرفين فهم يرفضون استقبال أية رسائل لاعتقادهم المطلق أن الآخرين على خطأ.

وأحد الأمثلة المهمة على الفكرة السابقة التي تمثل الانغلاق الفكري ورفض التواصل، هو ما قاله (بنزرام) وهو أحد المجرمين المتطرفين المشهورين في التاريخ البشري، ففي محاكمة له قال لهيئة المحلفين:"بينما أنتم تحاكمونني هنا، فأنا أيضا أحاكمكم جميعا، قد أصدرت حكما بإدانتكم،لقد أعدمت بعضا منكم، وإن عشت سأعدم مزيدا منكم، فأنا أمقت كل الجنس البشري"[٧]

---

[٤] بالاستفادة من http://www.maghress.com/almassae/161120 و http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222006

[٥] أنظر المرجع السابق ص٥٩.

[٦] أنظر المرجع السابق ١١٥

[٧] المرجع السابق، ص١٢٨.

كما أن أحد الأبعاد النفسية "للعنف الديني" هو الإحساس بالفرادة والعظمة الناتج من اعتقاد الشخص بانتمائه لهوية متفردة. وبحسب ما يناقش (أمارتيا سن) في كتابه (الهوية والعنف)، يؤكد على أن هناك حالات كثيرة من النزاع والجرائم الوحشية تقوم على الإيمان بهذه الهوية الوهمية.[٨] وأن هذه حالة من الشذوذ والتطرف، حيث أن الأديان السماوية والأنبياء عليهم الصلاة والسلام رغم أنهم كانوا على يقين مطلق برسالاتهم إلا أنهم كانوا أبعد ما يكون عن العنف، بل أن السماحة والحكمة وتقبل الآخر هي كانت السمات الغالبة على أصحاب الرسالات السماوية، لذلك نجد أن اي حالة من الغلو والتطرف، يتبعها بالضرورة اعتقاد غير سوي وشعور مضلل.

التنظيمات الدينية المتطرفة

عبر التاريخ قامت الشعوب البدائية بتقديم أضحيات بشرية للآلهة التي يعبدونها سواء كانت الشمس أو القمر أو الحيوانات المفترسة أو آلهة يخترعونها ويعطونها صفات الكمال، وعندما يقدمون الأضحية لآلهتهم، فإنهم يرجون منها أن لا تضرهم أو أن تساعدهم على أمر ما، أو تباركهم.

وعلى سبيل المثال كان (الفراعنة) يقدمون فتياتهم لنهر النيل كي لايغرق بفيضانه من حوله وليبارك زرعهم، وكذلك فعلت القبائل البدائية سواء في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا الجنوبية أو حتى في أوروبا، حيث كان الفايكينغ أجداد شعوب النرويج والسويد يقومون بقتل أشخاص لكي يتقربوا إلى آلهتهم، وكان هذا الأمر غير مستهجن من قبل الجميع، بل كان فيه في نظرهم الكثير من التدين.

ولم يكن غريبا أن يستخدم البعض الدين كأداة للقتل ويمارس القتل دون أدنى شعور بالذنب أو باستحقاق العقاب، فقد قام (الحشاشون) وهم فرقة شيعية تتبع للطائفة الإسماعيلية بعمليات اغتيال كثيرة، وألبسوها لبوسا دينيا، حتى أنهم حاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي ذاته، تحت ذرائع التقرب إلى الله وممارسة الإسلام الصحيح –باعتقادهم- ، فقد قاموا بذلك كجزء من تدينهم لأنهم يقتلون من يعتقدون أن الله غاضب عليه او أنه أخل بركن أساسي من أركان الإسلام، وكانوا يعطون لأنفسهم حق أن يكونوا قضاة وجلادين وأصحاب فتوة كذلك.

وفي القرون الوسطى ضربت كل أوروبا، وبالذات الوسطى منها والغربية، حروب ضارية بين البروتستانت والكاثوليك ، وكل طرف كان يقتل أنصار الطرف الآخر، حتى النساء والأطفال والشيوخ، وكل طرف كان يتهم الآخر أنه ينحرف عن الدين المسيحي الحق وأنه يستحق العقاب. وفي اليهودية كذلك، قامت بين فرق اليهودية الإثنا عشر، حروب طاحنة عبر التاريخ وكل طرف ينفي يهودية الطرف الآخر ويكفره ويستحل قتله وماله وعرضه.

---

[٨] أنظر امارتيا سن(ترجمة:سحر توفيق)، الهوية والعنف، ص١١.

وفي العصر الحديث نجد في أفريقيا مثلا (جيش الرب) في أوغندا الذي يدعي أنه يتبع الوصايا التي وردت في الإنجيل، حيث يقتل الناس ويمثل بهم، ويبتر أطرافهم وهم أحياء. كل ذلك بزعم أنه يمثل المسيحية الحقة. وفي نيجيريا نجد حركة (بوكو حرام) وتعني أن (التعليم حرام) والتي تدعي أنها على الإسلام الحق تقتل كل من يخالفها حتى من المسلمين، وتقتل المسيحين وتهجر قراهم، وقد بايعت مؤخرا تنظيم الدولة.

وكذلك نرى تنظيم القاعدة، حيث أنه يقوم بعمليات تفجيرية ويقتل الآلاف عبر القارات، والكثير من القتلى مسلمين، تحت بند أن التنظيم يمثل الإسلام الحق وأنه يريد نهضة المسلمين وإرجاع حقوقهم المسلوبة ومرضاة لله.

وفي اليابان هناك حركة قامت بالثمانينات بإطلاق غاز السارين القاتل في عربات الميترو تحت ادعاء أنه أمر من الله تعالى إلى هذه الجماعة للقيام بهذا العمل لتنبيه الناس أنهم ابتعدوا عن طريق الحق. وهذه الجماعة تنتمي للشنتوية البوذية.

وفي أمريكا كثيرا مانسمع عن وجود جماعات تتخذ من مزارع بعيدة عن السكان ملاذا لها، لتعلن قرب القيامة وتقوم بعمليات انتحار جماعي، مدعية انها تملك الإيمان المسيحي الحقيقي.

وطالما بقي هناك فهم ضيق ومنحرف ومتطرف لجوهر الأديان وجوهر الحق سيظل الإنسان يقتل الإنسان ظلما وعدوانا.

نشأة داعش "تنظيم الدولة في العراق والشام" (الظروف الاجتماعية والنفسية)

وفي هذا التقرير سنأخذ تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" كمثال لحالة "العنف الديني"، فقد نشأ تنظيم الدولة كغيره من التنظيمات المتطرفة في بيئة تعمها الفوضى وفي وسط مشحون بالاستقطاب الطائفي والاحتقان المجتمعي، وقد أعلن تأسيس التنظيم أبو بكر البغدادي(عام٢٠٠٦) وكان الهدف منه إقامة دولة إسلامية. وبعد الثورة السورية (٢٠١١) وجد التنظيم لنفسه مكانا في سوريا حيث انتشرت التنظيمات والفصائل المتطرفة، وقد كان عام (٢٠١٢) هو العام الذي ظهر فيه التنظيم في سوريا، وبدأ بعد ذلك بالانتشار ،وازداد حضوره وتأثيره على مسار الثورة في المناطق التي هيمن عليها. وكان التنظيم يتغذى من حالة التناحر الطائفي في سوريا، حيث أن البعد الطائفي في الثورة السورية لم يعد قابلا للتجاهل أو الإنكار، فكلما اشتدت حالة الاستقطاب الطائفي، كان التنظيم يستطيع التمدد أكثر ، فالاستقطاب الطائفي يفرز مزيدا من المتطرفين الذين يصبحون أهدافا لداعش لاستمالتهم أو وضعهم تحت جناحها كمناصرين أو مقاتلين في صفوفها.

إن ظهور تنظيم الدولة في العراق والشام، ليس من باب الصدفة، فالظروف المواتية لنشأة الجماعات المتطرفة كانت متوفرة، بل كانت البيئة مهيئة لنمو بذور التطرف والعنف الديني، وهذه الظروف هي:

أولا: المناخ الدولي ودوره في ظهور وتكريس ظاهرة العنف:

إن إسقاط دولة الخلافة في بداية القرن العشرين قد وضع المسلمين لأول مرة في تاريخهم بلا مرجعية دينية ولا سياسية مما ترتب عليه حالة من الشتات والفرقة وإقامة كيانات ضعيفة عاجزة عن تقديم الحماية والخدمات الأساسية لمواطنيها، وعليه تم إقامة نظام عالمي جديد يقوم على مبدأ سيادة القوة، وحصلت فيه القوى العالمية الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية على حق النقض(الفيتو) لضمان مصالحها، ومما زاد من شعور المسلمين بالتهميش والإقصاء والإهانة إقامة دولة إسرائيل في وسط العالم العربي لمنعه من أي محاولة لتحقيق الوحدة، وفلسطين التي فيها قبلة المسلمين الأولى، ارتكب اليهود هناك أكبر المجازر بحق الفلسطينين والدول المجاورة وسط صمت دولي، وكأن الأمر لم يحدث.

وسط هذه المعطيات وشعور المسلمين بالذل والظلم، حاول البعض منهم في عالم لا يعرف إلا القوة أن يمارس بعضا من هذه القوة من خلال العنف الذي لا يقاس بعنف استعمار الغرب، للحصول على حقه، ولكن امتلاك الغرب للإعلام وأدواته في عالم يسيطر فيها الإعلام على عقول المليارات من البشر، تم تصوير أن المسلمين هم الإرهابيون وأنهم هم من يمارسون العنف على الآخرين، دون أي مراعاة لحقوق المسلمين المهدورة والقتل الممنهج والنهب المستمر لثرواتهم، وإقامة أنظمة دكتاتورية فاسدة حليفة للغرب لا تمثل المواطنين ولا تحرص على مصالحهم، بل إنها مخلب من مخالب الغرب في المنطقة. وإذا احتج المواطن على الفساد والظلم بل والقتل، أصبح يسمى"إرهابيا" يمارس العنف وتسلط عليه كاميرات العالم، كنموذج نمطي لصورة المسلم الذي يريد الغرب تسويقها.

ومما زاد في تعقيد الأمور صعود نجم إيران على المستوى الدولي، هذه الدولة التي طالما طعنت المسلمين في ظهورهم وحاولت بث الفرقة، وقد قامت إيران بدعم جماعات شيعية في الدول الإسلامية وبالذات ذات الأغلبية السنية وسلحتهم لتدخل المنطقة في دوامة من العنف الطائفي واللااستقرار وسط صمت الغرب بل دعمه لإيران، طالما أن إيران لا تهدد الغرب بشكل مباشر أو تهدد مصالحه في المنطقة. رغم ادعاءاتها غير ذلك. بل إن الغرب أخيرا توصل لاتفاق مع إيران لإطلاق يدها في المنطقة مقابل تقاسم المصالح مع الغرب وعدم المساس بأمن إسرائيل. لذا انطلقت إيران في كل من سوريا ولبنان والعراق واليمن، لتعيث فسادا وتؤجج كراهية طائفية، ويبدو أنها ستمتد وتكبر، وبالتأكيد سيستفيد الغرب عبر إعلامه من صورة المسلم الذي يقتل أخيه المسلم.

ثانيا:الظلم والقمع وغياب العدالة الاجتماعية:

العنف يولد العنف، والقمع يولد الثورة، والمظلوم هو شخص ينتظر فرصة لقهر الظالم والانتقام منه. وإن المجتمع الذي ظهر فيه (داعش) مازال يرزح تحت وطأة الدكتاتوريات والقمع

والظلم، حيث لعقود طويلة عانت الشعوب العربية من تكميم الأفواه وسياسة الرغيف التي تورث الذل والعار ، والتي تجعل من تلك الشعوب مراجل على أهبة الاشتعال في أي لحظة.

وإن ما يدل على خطورة اقتراف الظلم، ذكر كلمة(ظالم-ظالمين) ١٣٥مرة تقريبا في القرآن الكريم.[٩]

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب) صحيح الجامع:١١٩.[١٠]

وقد ظهر تنظيم الدولة في مجتمعات مقهورة تتعامل مع الذل وغياب العدالة في كل تفاصيل حياتها، وليس فيها للإنسان أي قيمة إذا لم يكن إلى جانب الطغاة والمستبدين، فلا مكان فيها لمساحة حرية أو للاعتدال، مما يجعلها تربة خصبة لظهور التطرف وانتشاره، فالطاغية المتطرف في ظلم شعبه لا يمكن أن ينتظر معارضة معتدلة، فتلك إن ظهرت تقابل بالوحشية والقمع المضاعف، لذلك فإن ردة الفعل المتطرفة هو الوجود الموازي للطغيان والظلم.

ثالثا:الفقر:

ولا غرابة انه سمي بأبي الشرور جميعها، فهو يكرس لدى الإنسان إحساسا بالحرمان والتهميش، والإحساس المتدني بتقدير الذات. كما أن الفقر يؤجج مشاعر الحقد والرغبة في الانتقام من الجهات التي تحمل مسؤولية الواقع الصعب الذي يعيشه نسب كبيرة من البلدان العربية لا سيما العراق وسوريا، والتي تبلغ نسب الفقر فيهما أرقاما مخيفة، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه للجريمة والفساد والسلوك المتطرف، ويجعل من السهل استقطاب الأشخاص في هذه البيئات لأنهم في حالة هشاشة نفسية وعدم ثقة بالذات، ففي هذه الحالة يمكن أن يتم اقناعهم بالانتماء إلى منظومة تحمل أهدافا سامية-بحسب اعتقادهم- وفيها مقومات الاستمرار من تنظيم وتماسك ودعم مادي، فالبديل عن حالة الضياع وفقدان الهوية وانسداد الأفق يبدو في غاية الإشراق حتى وإن كان تنظيما متطرفا، فأولئك الأشخاص لديهم دوافع جاهزة للانتقام من المجتمع، فالانضمام لتنظيم متطرف مثل داعش قد يكون فرصة على أكثر من مستوى، فمن جهة يكون انضمامهم للتنظيم بمثابة انتشالهم من التهميش فتصبح حياتهم ذات معنى وهدف، ومن جهة أخرى تتاح لهم مساحة للتعبير عن ذاتهم والانتقام من المجتمع والجهات التي يعتقدون أنها كانت السبب في واقعهم، لذلك من السهولة انقيادهم للسلوكيات العنيفة والإجرام. هذا بالإضافة إلى عامل في غاية الأهمية وهو المقابل المالي الذي تتلقاه أسر المنتسبين للتنظيم. ففي مقارنة حالة الضياع والتهميش والعوز بالإحساس

---

[٩] أنظر http://www.daawa-info.net/article.php?id=1245

[١٠] https://ar-ar.facebook.com/alah.mohamd.rasol.alah/posts/291130314358674

الجديد الذي سيكتسبونه بالقيمة والانتماء إلى قضية سامية حسب -اعتقادهم- والأمان المالي(النسبي) لعائلاتهم، يكون خيار الانضمام إلى التنظيم للأسف –إن جاز لنا التعبير- منطقيا.

رابعا:الفوضى:

الفوضى هي فقدان سيطرة القانون، وهي الحالة المناقضة للنظام، ومع الفوضى ينتفي الأمن أيضا، ويصبح من الصعب توقع ماذا سيحدث أو الكيفية التي تسير عليها الأمور. وفي هذه الظروف تكون الفرصة مواتية لظهور مجموعات أو استقطاب مجموعات من شتى المشارب الايدولوجية والعقائدية التي لها مصالح متوقعة في الأماكن التي تعيش حالة الفوضى، إذ تستطيع تلك المجموعات مع وجود الدعم لها أن تنتشر في تلك المجتمعات بحيث تصبح تلك المجتمعات عرضة للتجاذبات، وليس لها إرادة حقيقية لرفض تلك المجموعات على وجه الخصوص إذا كانت من المجموعات المتطرفة المسلحة.

وفي حالة تنظيم الدولة، فقد كانت الفوضى عاملا أساسيا في انتشاره، وقد أكد ذلك مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق (ستيفن هادلي)، حيث اعتبر أن ما أسماها (الفوضى الشرق أوسطية) "تستدعي نمطين متوازيين هما: "داعش التي تريد إنشاء خلافة وإزالة الحدود التقليدية" و"إيران التي تحاول استغلال الفوضى بتوسيع تأثيرها" من العراق إلى اليمن." وأضاف هادلي إنه "في مرحلة ما بعد اعتداءات ١١ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ وبعد الربيع العربي، تحولت الطموحات إلى خيبات أمل وأضحت فوضى"[١١].

خامسا: الاستقطاب الطائفي:

إن سقوط نظام صدام حسين قد أوقع كل العراق في كارثة الاحتلال، ومع ذلك هناك البعض ممن استفاد من سقوط النظام، حيث تم حل الجيش الذي كان متهما من قبل الأكراد والشيعة بأنه كان جيش السنة في العراق، وعليه تم إقامة هياكل سياسية وأمنية وعسكرية في العراق الجديد تقوم على نظام طائفي وإثني، حيث حصل الأكراد على إقليم كردستان ولهم ذراع قوية عسكرية وهي البيشمركة، وسيطر الشيعة على أروقة الحكم والأمن والجيش، وتم تهميش السنة بشكل عملي وإبعادها عن أي مشاركة حقيقية في إدارة العراق. وتم احتساب أن نسبتهم ٢٢% وهي نسبة لا تعبر عن نسبتهم الحقيقية في العراق. بل زاد الأمر عن ذلك بأن قامت ميليشيات شبه عسكرية بتهجير

---

[١١] جويس كرم، داعش وإيران يستغلان الفوضى الإقليمية، موقع صحيفة الحياة،(٧ يونيه ٢٠١٥) -http://alhayat.com/Articles/9437288/%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4--%D9%88%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%B6%D9%89--%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9

وقتل السنة والاستيلاء على أملاكهم في المناطق المختلطة، وكانت هذه الميليشيات تدربت سابقا في إيران وغيرها، عدا عن افتقار مناطق السنة للخدمات الحقيقية.

لقد وجد السنة أنفسهم بلا غطاء سياسي أو أمني أو عسكري بعد سقوط نظام صدام حسين، حيث أن الدولة العراقية بعد(٢٠٠٣) هي دولة طائفية بامتياز ولا تعبر عن دولة مواطنين، بل هل في أغلبها دولة يسيطر عليها الشيعة في عموم العراق، عدا عن إقليم كردستان الذي يسيطر عليه الأكراد. وسط هذه الحالة من الشعور بالخيبة والخوف والفراغ لدى السنة ظهرت القاعدة وإن كانت مرفوضة من أغلبية السنة في العراق، إلا أنه كان من السهل أن يلتحق بعض شباب السنة بها نتيجة لشعورهم بالخيبة من دولتهم، كتعبير عن مقاومة الاحتلال الأميركي أولا، ثم مقاومة مشروع التمدد الإيراني في العراق ثانيا، وأيضا بدافع حماية أنفسهم وأهلهم ومناطقهم في ظل أن الأجهزة الأمنية العراقية هي أجهزة طائفية. وفيما بعد ظهر تنظيم الدولة الإسلامية(داعش) كحالة أكثر تطرفا من القاعدة في وسط مناطق السنة، ولا سيما بعد ظهور ما سمي بالحشد الشعبي(الشيعي) وغيره من ميليشيات طائفية، حيث أصبحت ممارسة القتل والتهجير الطائفي لأهل السنة سياسة متبعة لهذه الميليشيات، وبالذات في عهد المالكي الذي امتد لثماني سنوات. ومن المنطقي عندما تتراجع الدولة عن حماية جميع مواطنيها، أن يقوم المواطنون بإنشاء هيئات لحماية انفسهم أو السماح لمن يدعي أنه يحميهم أن يقوم بذلك، سواء بالحياد وهو سلوك الأغلبية أو عبر الانضمام والتأييد، وتنظيم الدولة خير مثال على هذه الحالة.

سادسا: الهوية المتفردة وعدم الالتفات للانتماءات المتعددة:

يقصد بالهوية المتفردة هنا هو الشعور العميق بحتمية تفرد جماعة معينة بالحق والصلاح والرأي الصائب. وغالبا ما تأخذ هذه الهوية بعدا عقائديا دينيا أو ايدولوجيا بحيث يصبح الإنسان المنتمي لهذه الهوية على استعداد للتضحية بذاته وبالآخرين في سبيل الدفاع عن هذه الهوية ونشرها.[١٢] ويؤكد (أمارتيا سن) على أن التطرف والممارسات العنيفة في تكريس الانتماء لهوية متفردة يساهم فيما أسماه (فن الكراهية)، لأن الانتماء لهذه الهوية برأيه يحجب الانتماءات الأخرى التي شكلت وعي الفرد وشخصيته، تلك الانتماءات الحية التي تتفاعل وتنمو وتتطور مع الفرد ومن خلاله أيضا . وأكد أنه: "عندما تعطى هذه الهوية شكلا ملائما ميالا للقتال يمكن أيضا أن تهزم أي تعاطف إنساني أو مشاعر شفقة فطرية قد تكون موجودة في نفوسنا بشكل طبيعي. والنتيجة يمكن أن تكون عنفا عاريا مصنوعا داخل الوطن أو ارهابا وعنفا مراوغا ومدبرا على مستوى كوكبي"[١٣]

---

[١٢] بالاستفادة من امارتيا سن، ص١١،مرجع سابق.

[١٣] المرجع السابق، ص١٢

جرائم داعش ودلالاتها النفسية

تنطلق داعش بدافع إثارة الرهبة والرعب في نفوس كل من يتابع أخبارها، فترتكب أفظع الجرائم، وتجد من يبرر لها هذه الجرائم ويوفر غطاء فقهيا لها. واشتهر التنظيم بجرائم قطع الرؤوس بشكل أساسي سواء بشكل فردي أو جماعي (كما حصل في جريمة إعدام الأقباط في ليبيا)، إضافة إلى الإعدامات الجماعية بالرصاص وغيرها من أساليب الإجرام، ولا ننسى الجريمة البشعة التي أثارت ردود فعل شعبية غاضبة وهي إعدام الطيار الكساسبة حرقا.

وإن السلوك الذي يعتبر تطرفا في الإجرام أكثر هو التصوير السينمائي للجرائم، وتلك المشاهد التي تظهر القوة الداعشية وتعبر عن حالة "جنون العظمة" من جهة داعش، وعن حالة العجز والاستسلام الكامل من جهة الضحايا. وفيها إرضاء للحاجات النفسية المرضية لدى أفراد التنظيم، وتعبير عن الخواء الداخلي الذي لا يتم إشباعه إلا عن طريق الظهور الصارخ ولفت نظر العالم إلى الجرائم التي يقومون بها.

وإن هذا الخواء على وجه التحديد هو ما يخلق لديهم الدائرة المفرغة من العنف، حيث أن ذواتهم تكون مرعوبة من الداخل وتعاني من أمراض وعقد نفسية عميقة تتراوح بين عقدة الاضطهاد والبارنويا[١٤]، والمازوخية والسادية[١٥]. فهم داخليا يشعرون بالضعف والدونية والاحتقار للذات، في حين يمارسون الاستبداد والتجبر والتكبر على الآخرين. وهو ما يجعلهم غير قادرين على تحقيق التوازن إلا بالمزيد من العنف، الذي يغذي بدوره ذواتهم القلقة والخائفة والمرعوبة من نفسها ومن الآخرين، مما يجعلهم غير قادرين على السيطرة على أنفسهم ويجعلهم يراوحون داخل حلقة مفرغة من العنف.[١٦]

كما أن الدراسات النفسية للسلوك العنيف تبين أن من يقدم على ارتكاب الأفعال الإجرامية التي يقوم بها أفراد تنظيم داعش مثل قطع الرؤوس، إنما يعانون من أمراض نفسية ذهانية[١٧] خطيرة، تنضوي على خلل كبير في عملية التفكير وعدم القدرة على الربط المنطقي والإدراك الشعوري، الذي يسبب الإحساس بالانفصال عن الواقع. كما أن دراسات أقيمت في إحدى جامعات

---

[١٤] البارنويا: مرض نفسي مبني على الأوهام حيث يؤمن المريض بأفكار لا وجود لها في الواقع وتسيطر على تصرفاته مجموعة من المخاوف الوهمية تجعله يتصرف بطريقة غير متوازنة. ومن أنواع البارنويا ما يطلق عليه جنون العظمة حيث يعتقد الشخص أن له قدرات خارقة وبأنه عظيم.

[١٥] المازوخية والسادية: وهو صورتان لاضطراب نفسي يقوم على المتعة بوقوع الألم. فالسادية هي الاستمتاع بإيقاع الأذى بالآخر، والمازوخية هي الاستمتاع بتلقي الألم من الآخر.

[١٦] أنظر خضر عباس، سيكولوجية الطاغية، مدونة الدكتور خضر عباس،
https://drabbass.wordpress.com/2011/04/14/%D8%B3%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%A9/

[١٧] أمراض ذهانية: هي اضطرابات عقلية او نفسية تسبب اشكالا شاذة من التصور والتفكير، فالمصاب بالذهان يفقد صلته بالواقع(الذهان، الموسوعة الصحية، m.kaahe.org)

فنلندا عن الهوس الإ جرامي الذي يتمثل بتقطيع أجزاء من الجسد، بينت أن من يقوم بهذه الأفعال لديهم اضطرابات شديدة تجعلهم غير قادرين على الشعور الطبيعي الفطري للناس العاديين، وبشكل أكثر وضوحا فهم لا يشعرون بالذنب عند القيام بالأفعال الإجرامية، ويترافق ذلك أيضا بصور عن الأنا المتضخمة لديهم التي تتغذى من ذلك الإحساس المريض لديهم بأنهم يثيرون الرعب بالآخرين، ومما يبرر هذه المتلازمة لديهم هو اعتناقهم لفكرة معينة عن الحياة والوجود يعلقون عليها جميع جرائمهم ويجعلون من الضحايا إيا كانوا وحوشا وكينونات لا تستحق الحياة ما دامت لا تؤمن بعقيدتهم.[١٨]

الخاتمة

إن داعش كظاهرة مجتمعية لم تكن وليدة الصدفة، ولا يمكن أن نلقي باللوم على فئة معينة أو ظرف معين، أو نعزي وجودها وانتشارها إلى عامل واحد، إنما هناك مسؤولية مشتركة في نشوء ونمو وتغول التطرف بكافة أشكاله. وهذه المسؤولية تتراوح من المسؤولية الفردية إلى الأسرية والوطنية والعالمية. إنها مسؤولية إنسانية بحيث أن كل إنسان يساهم من خلال سلوكه إما في تكريس العنف أو في محاربته. ومهما كانت التفاصيل الصغيرة مهملة، فإننا نجد أنها من خلال التراكم يصبح لها تأثير كبير في وعي الأفراد وتماسكهم وصحتهم النفسية. لذلك فإن داعش تمثل إحدى تجليات الظلم والاضطهاد التاريخي الذي مورس على شعوبنا، فظهرت من بينها فئات متطرفة تعلمت من جلاديها كيف تقتل الآخرين بدماء باردة، وأصبحت كالوحش الأعمى تقتل وتخرب دون بصيرة، وأسوء ما في الأمر أنها تقوم بكل ما تقوم به بإسم الدين.

ورغم أن الأديان تتبرأ من العنف وتنبذه في تعاليمها، إلا أن هناك الكثير من الأمثلة لحالات من التطرف والعنف التي ظهرت وانتشرت باسم الدين، فقد كان الدين لدى الكثير من مريضي النفوس مدخلا لاستغلال الناس البسطاء وتوريطهم بالمنظمات التي تمارس العنف. ولم تقتصر هذه الأمثلة على دين بعينه، إنما ظهرت في المجتمعات التي تدين بديانات متنوعة، فظهرت الحركات المتطرفة "اليهودية"، و"المسيحية"، و"الإسلامية"، كما تسرب التطرف والعنف إلى المذاهب داخل الدين الواحد، فظهرت حركات متطرفة" كاثوليكية" و "بروتستانتية" و"الأرذوكسية"، و"سنية" ، و"شيعية". وما نخلص إليه هو أن "العنف الديني" ليس له دين، إنما هو ظاهرة سلبية تستخدم الدين كغطاء لتحقيق أهداف تتبرأ منها جميع الأديان.

---

[١٨] أنظر من هم قاطعو الرووس: من ماكسيميليان حتى "داعش"، https://www.youtube.com/watch?v=x-tAax_G2Sw

التوصيات

- على الدول الكبرى والمجتمع الدولي أن يعلي من شأن القيم الإنسانية والأخلاق والتحرك بدافع من مصلحة الإنسانية جميعها دون التحيز للأقوى كما يحصل الآن.

- إن التربية والتعليم والإعلام هي الأدوات الأمثل في إيصال رسالة الوسطية الدينية والأخلاقية وتنمية الضمير، لإبعاد شبح الغلو والتطرف والعنف. والمقصود هنا هو إيجاد مناخ متكامل لتربية الأجيال بطريقة متوازنة، بحيث تتكون ثقافة مجتمعية نابذة للعنف والتطرف تمنع ظهور أو انتشار وتجذر النزعات العنيفة، وتجعل المجتمع لديه مناعة ضدها.

- إن قيام الدول بواجباتها تجاه مواطنيها برفع الظلم عنهم، والعمل على تحسين ظروفهم المعيشية وتهيئة بيئة متوازنة لهم بعيدا عن الاستقطابات من أي نوع، يجعل من الصعب أن يسود لدى بعض شرائح المجتمع شعور بالخذلان والظلم والتهميش والأفق المسدود الذي تستغله الجماعات المتطرفة لإقناع الناس بأفكارها العنيفة.

- الوقاية من الوصول إلى الحالة النفسية السلبية يكون بإيجاد نقيضتها الإيجابية، لذلك فإن مسؤولية المجتمع أن يوجد لدى الأفراد حالة إيجابية من السلام ونبذ العنف بكل أشكاله. وإن هذه المسؤولية تقع على الأسرة وعلى مؤسسات المجتمع المدني المتنوعة، وعلى النظام التعليمي، والمنظمات الدولية ذات الاهتمام بالمجتمعات الأقل حظا، والمراكز المتخصصة بالتوعية الاجتماعية والنفسية، وغيرها.

- إن تقبل الآخر والتفكير بوجهة نظره وظرفه وسياقه الثقافي والتاريخي يساهم في تخفيف حدة التوتر الناتج من الاختلاف في العقائد والخلفيات الايدولوجية والثقافية. وإن هذه المهمة تقع على عاتق النخب الفكرية والثقافية في توجيه تركيز المثقفين والمؤسسات الفكرية على نشر ثقافة أرضية العيش المشترك، وأهمية تقبل الاختلاف الحضاري والديني والثقافي ضمن ضوابط وحدود متفق عليها ويحترمها ويطبقها الجميع.

- التركيز على بناء الشخصية المتوازنة أكثر من التركيز على محاربة التطرف وإعلان العداء للتنظيمات العنيفة أيا كانت، لأن محاربتها يستنزف الطاقات التي يجب أن تستثمر في البناء الذي سيكون أكثر فاعلية في محاربة العنف والتطرف في المحصلة وعلى المدى البعيد.

- إن الإسلام حث المسلمين على خدمة الإنسانية وإعمار الأرض، وهذا يتطلب الأمر بالمعروف وتقديم الإسلام الحق من خلال ممارسات المسلمين وتعاملهم واحترامهم لآدمية كل البشر . فالإسلام دين التسامح والكلمة الطيبة، وليس دين الإكراه والعنف.

المراجع

- , Definition and typology of violence

http://www.who.int/violenceprevention/approach/definition/en

- كولن ويلسون، التاريخ الإجرامي للجنس البشري.سيكولوجية العنف،(ترجمة د.رفعت السيد علي)،
- http://www.maghress.com/almassae/161120

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222006

- امارتيا سن(ترجمة:سحر توفيق)، الهوية والعنف
- الذهان، الموسوعة الصحية، m.kaahe.org

- http://www.daawa-info.net/article.php?id=1245
- https://ar-ar.facebook.com/alah.mohamd.rasol.alah/posts/291130314358674
- جويس كرم، داعش وإيران يستغلان الفوضى الإقليمية، موقع صحيفة الحياة،(٧ يونيه ٢٠١٥)

http://alhayat.com/Articles/9437288/-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4--%D9%88%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%8A%D8%B3%D8%AA%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%88%D8%B6%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9

- خضر عباس، سيكولوجية الطاغية، مدونة الدكتور خضر عباس،

https://drabbass.wordpress.com/2011/04/14/%D8%B3%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%84%D9%88%D8%AC%D9%8A%D8%A9-/%D8%A7%D9%84%D8%B7%D8%A7%D8%BA%D9%8A%D8%A9

- من هم قاطعو الرووس: من ماكسيميليان حتى "داعش"، https://www.youtube.com/watch?v=x-tAax_G2Sw